الدين والحياة

للأستاذ حامد محمود الزفرى

وقبل أن ندخل فى بيان الوضع العربى الثائر وأيديولوجيته ومدى تقاربها من القرآن الكريم يحسن أن نمر سريعا عبر الحوادث والأحداث سياسية وفكرية والاجتماعية فيما قبل الثورة ومنذ انحدار القيادة العربية إلى سفوح الخلافة التركية ولنلمس العوامل الجذرية النابعة من داخل الشعب والإشعاعات الساقطة من الخارج. حتى نكون على بينة من جدارة هذا الشكل القيادى الجديد فى المحيط العربى وبذلك يمكن أن نلحظ مدى التقارب أو التباعد بين الغايات الباطنة والأهداف القائدة.

ونحن نستطيع أن نغفل من الجانب الحيوى البعد الشاسع والفجوة العميقة التى كانت سائدة بين حكام المنطقة العربية وبين الشعب العربى نفسه. فهذا التأخر وتلك القطيعة التى منى بها العالم الإسلامى بله العربى. فى تلك الفترة وتملك الأتراك لأزمة القيادة وهم ما نعرف من أصاله العنجهية وأمية الثقافة وفقر الحضارة. هذه القيادة الجاهلة أثرت تأثيراً كبيراً وخطيراً فى الحياة العربية ثقافة وسياسة وتمدينا وقد كان الرد الطبيعى هوقيام العرب، بالدعوة للقومية العربية وهو فى الوقت ذاته رد على غرض التتريك الذى كان هو هدفا للمناورات التركية للإبقاء على قيادتهم.

وفى هذا الجو كان تيار الإصلاح العقائدى قد سمع هديره القاصى والدانى يندفع من الحجاز ومن صوت محمد بن عبد الوهاب وفى بلاد المغرب العربى وليبيا كانت السنوسية تقوم بدور ايقاظ هؤلاء المتثائبين، ومن الأفغان ظهر الفيلسوف المسلم الكبير والثائر الدينى الخطير والمصلح السياسى العظيم جمال الدين الأفغانى الذى وهب حياته للأمة الإسلامية ولإحياء المعانى الشريفة فى أهلها وبث اليقظة فى عقول بنيها وقد ركز نظره على مركز الثقافة والإشعاع فى العالم الإسلامى (الأزهر) فى مصر. فأقام بها مدة ألهب فيها النفوس وشحذ العقول ودفع بالفكر والسياسة والحرية ونشأ جيلا كان هو ثورة عرابية مع عرابى.

إن الأفغانى كان ثورة سياسية متوازنة مع الثورة الفكرية وكان يرى أن تحرر المسلمين من الجهل والجمود والتركية رهن بقيام جامعة إسلامية غير أن طريقته كان يغلب عليها الناحية السياسية فهو لاينفك يفضح ألاعيب الاستعمار الأوربى الذى آخذ

فى التمدد ويكشف جهل الخلافة وانحطاط الساسة فى بلاد المسلمين . ثم فى الوقت ذاته يدرس الفلسفة والمنطق والعلوم الكونية فى مصر ويرد على نظريات الطبيعيين فى أوربا (الرد على الدهريين) وقد تأثر به تلاميذ مخلصون لأوطانهم وعقيدتهم ومجتمعهم .

فهذا هو الإمام محمد عبده وإن اختلفت نظريته الإصلاحية مع أستاذه إلا أنه كان ثوريا عربيا ومصلحا اجتماعيا وصحافيا وأزهريا ، حتى ولوضاقت به بلده سمع صوته من باريس فى (العروة الوثقى) .

وعبد الله النديم الذى أوتى اللسن والخطابة وإيمان المواطن المخلص وفكاهة الصحفى اللاذع . لقد كان النديم هو الآخر ثورة شعبية وحده وقيادة جماهيرية كبرى .

ومن حلب قام الثائر الحر عبد الرحمن الكواكبى وله نظريته الإصلاحية التى تتفق إلى حد كبير مع أستاذه الأفغانى وإن اختلفت فى بعض الخطوط وله فى ذلك مؤلف قيم ، (أم القرى) .

وبالرغم من أن هذه التيارات الإصلاحية الهادرة فى السياسة والفكر والاجتماع لم تتح لها فرصة القيادة الحكيمة فإنها كانت متجاوبة مع الضمير الشعبى والروح العربى والغرض الإسلامى والهدف الإصلاحى ، وحمل مشاعرها المفكرون المصلحون والثائرون المطاردون من الحكام .

وقد كان يقابل هذا التيار التقدمى البناء جنادل وصخور أقامتها جهالة الخلافة وأنانية الولاة والملوك ووثبة الاستعمار الأوربى على مملكة الرجل المريض واقتسام الأرض العربية ، وهنا أنشأ الاستعمار أدوات يرتكز عليها : ملكية وإقطاعية وحزبية وكانت له ألاعيب وحيل كالأساطير . فهو إذ رأى أثناء الحرب العالمية الأولى كراهية العرب الأتراك استغل ذلك لحسابه الخاص فمنى الشريف حسين ملك الحجاز إذا هو خاض الحرب فى جانب انجلترا وفرنسا ، ضد ألمانيا وتركيا سيكون له الجو خالصا فى إقامة خلافة عربية إسلامية وملك عريض وفى الوقت ذاته يعمل معاهدة سايكس - بيكو - ثم يقطع بلفور وإيزمان أرض فلسطين لإقامة وطن قومى لليهود وبانتهاء حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ وقيام ثورة أكتوبر ١٩١٧ فى روسيا تنكشف الألاعيب الخسيسة والأغراض الشريرة حتى مؤتمر ما بعد هذه الحرب حرم دخوله على فيصل الأول ، ولكنه الاستعمار الخبيث جاء بفيصل من إيطاليا ليجلسه على عرش العراق وبعبد الله أخيه لإمارة شرق الأردن ، وكانت مهزلة ، وللإبقاء على نفسه فرق الأمة العربية وقسمها دولا وإمارات والدولة أحزابا وشيعا ، وصار يحرك يده كالعراقوز ليضحك من سفاهته الوعى والضمير ، العربى ومن أجل هذه السياسة الاستعمارية فرق تسد لم تنجح الثورة العرابية فى مصر مثلا .

وهنا يمكن أن نتساءل : لو أن الدعوات الحزبية البائدة أتيحت لها فرصة القيادة وفى جومن الحرية ولو فرضنا خروج المستعمر آنذاك فهل كان الحزب لديه من الخطوط والأهداف والوسائل مايمكنه من خلق إيدلوجية عربية ، والإجابة على هذا التساؤل هنا لا بد وأن تكون بالنفى ومن ذلك تكون هذه المرحلة الحزبية قد أيقظتنا نحن الجماهير لرؤية مايدور وراء الكواليس وفى الحق كانت هذه الفترة برغم تشويشها وعدم أصالتها مدعاة لليقظة والصحو ، فقد فهمنا أن الحزب كان يسعى لكرسى الحكم وإرضاء الملك ومسح الجوخ لسيده المستعمر ، ورب ضارة نافعة كما يقولون ،

ولقد كنا فى القرية نعقد كثيراً من الجلسات أمام المسجد نقرأ . . الصحف ونتناقش فى صراحة وبساطة فليس ثمة رقابة أو خوف من دخيل وأذكر أننا فى أحد أيام مارس ١٩٥٢ كنا جميعا نتنبأ بقيام انقلاب لا لأننا ساسة مخنكون أو منجمون ولكن لأننا كنا نحس ونشعر بفداحة الأخطاء التى كانت تقوم بها الحكومات وإغفالها حقيقة الوعى الشعبى فقد رأينا كارثة فلسطين وخيانة الحكام للجيش والأسلحة الفاسدة والهدنة دون مبرر وطعن القائد للجيش العربى فى حرب فلسطين لأمته العربية (الملك عبد الله) . وفى إلغاء معاهدة ١٩٣٦ رأينا الفدائيون يكشفون الحقيقة الشعبية الثائرة وأن أصالة الجهاد وحب الحرية والتخلص من الاستعمار يكمن فى دم الشعب ويصرخ فى عروقه . وقد كان حريق القاهرة إنذاراً عمليا لإنهاء فوضى الساسة والحكام . من كل هذه الأحداث وغيرها استنتج الشعب القروى وجماعة (المصطبة) أن ناراً تحت الرماد وأن وراء الأفق أشياء وأن انقلابا كبيراً لا بد آت .

وفى فجر ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كانت الثورة العارمة والحقيقة الخالصة والمعدن الأصيل لشعبنا النبيل قد عبر عن نفسه وكشف عن حقيقته .

من هذا العرض السريع الموجز يمكن أن نلمح فى يسر وسهولة أصالة التماسك العربى ووحدة الهدف والغاية ، وأن انطلاقة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد قامت كاستجابة طبيعية للرغبة السياسية والفكرية والاجتماعية لسكان هذه المنطقة من الخليج إلى المحيط فطردت الاستعمار وعملت على أن يكون هذا الشعار لا عربيا فقط بل إنسانيا فى أفريقيا وآسيا وكل بلد فى المعمورة وحطمت القيد الذى غل به الفكر العربى فى المرحلة البائدة فأتاحت له فرصة التزود من الثقافات العالمية غربية وشرقية وأمريكية . وأعطته حرية الرأى والاعتقاد دون ضرر أو ضرار وعملت على أن تكون الحياة حقاً لكل إنسان فالسلام شعارها وعدم الانحياز لأى من الكتلتين المتصارعتين خطتها .

« يتبع »

إلى السادة المشتركين

لقد تزاملنا وتعاونا ثلاثة أعوام على إصدار « مجلة الإسلام والتصوف » منبراً حراً للدعوة الربانية ، ونبراساً قوياً نستضىء به فى هـذا العالم المضطرب المصطخب بالمـاديات والالحاديات .

فمنها كتبنا عن الإسلام : كرسالة عالمية منقذة ، وهدى ورحمة للعالمين .

ومنها أعلناها صريحة : أن التصوف هو جوهر الإسلام وروحه وقوته الإيجابية الفاصلة فى أحداث التاريخ .

ومنها حاربنا المنحرفين والمـارقين وأعداء العروبة والوحدة وخصوم الإيمان والإسلام .

ومنها نعلنها قومية عربية متحررة مؤمنة ، تدعو الناس إلى الاخاء والسلام والتعاون الإنسانى .

ومنها نحمل إلى العالمين الإسلامى والعربى : أصداء نفوسنا ، وأنوار آمالنا ، وكلمات ربنا ، وآداب نبينا ، وسيرة السلف الصالح من علمائنا وأوليائنا ومجاهدينا .

ومنها ستنبثق الوثبة الإسلامية الـكبرى ، التى تعيد لنا رسالتنا ، ومكانتنا العالمية .

فبادروا إلى تجديد الاشتراك ، وأسهموا فى هذا الجهاد الذى يحبه الله ويرضى عنه ، حتى تتابع المجلة سيرها المبارك ، ورسالتها الربانية المهذبة .

وترسل الاشتراكات : إذن بوستة ، أو حوالة بريد إلى إدارة المجلة ، وقيمة الاشتراك السنوى ستون قرشاً .